

سيناريو الجحيم أقرب من سيناريو الهدوء في السودان

أخطر أزمة تعصف بالبلاد تنتظر رشد المدنيين والعسكريين أو الدخول في المجهول



السودان على حافة أزمة أمنية حادة

الباب الوحيد القادر على وقف النزيف الحاصل حالياً. وتصوير الأزمة على أنها معادلة صفرية بين طرفين عملية تفرض سد جميع الطرق لحلها، وليس العكس، وخسارة طرف في أوضاع مثل السودان لا يجب تصويرها على أنها خسارة للطرف الآخر، وحتى لو كانت النتيجة تبدو كذلك، فمن المهم الانحناء للعاصمة قبل أن تجرف معها كل القوى التي تعتقد أنها ستصبح رابحة في النهاية. قد يعول المدنيون على تدخلات المجتمع الدولي ويتجاهلون أن قواه الرئيسية لم تعد لديها القدرة على هندسة أوضاع داخلية في أي بلد ينجرّف بقوة نحو الاقتتال، فالعبرة لدى كثير من الدول بمن يحكم قبضته على السلطة ويتمكن من الإدارة بقطع النظر عن هويته، مدنياً كان أو عسكرياً، ما يجعل السودان أقرب إلى سيناريو الجحيم من سيناريو التفاهم والهدوء، خاصة أن المنطقة الرمادية بينهما غادرتها القوى السياسية أو تلاشت على مشجب الأزمات المتلاحقة وفقدان كل طرف الثقة في الآخر.

زيادة معدل العنف، والذي يعد خطراً مع وجود الملايين من الأسلحة في أيدي المواطنين في أماكن مختلفة، علاوة على أن الفصائل التي فشلت السلطة التنفيذية في نزع أسلحة جيوشها وتدشين بند الترتيبات الأمنية في اتفاقية السلام قد تكون مدفوعة إلى إحكام سيطرتها على الأماكن التي تتمركز فيها، وتفتح الباب لفضول سياسية مجهولة في سيناريو الجحيم تتمثل في تقسيم البلاد إلى مناطق نفوذ ويصبح شبح سوريا أو ليبيا غير بعيد عن السودان.

من رحم هذا الشبح يمكن أن تُجرّب كل الأطراف على الرضوخ للتفاهم لأن السودان لن يتحمل إعادة إنتاج ما جرى في هذين البلدين ولن يستطيع جميع أشلائه مرة أخرى إذا مضى سيناريو الجحيم حتى نهايته، لأنه لا يضمن للجيش سيطرة كاملة، ولا يمنح المدنيين فرصة لإدارة دولة سوف تصبح مهشمة، ولن يتمكن الفلول من العودة إلى بقايا حكم بلا هوية سياسية محددة.

ويغرض سيناريو الجحيم على القوى العاقلة في السودان البحث عن صيغة للتفاهم عبر تقديم تنازلات متبادلة، لأنها

صريحاً عن صعوبة السيطرة على الموقف وزيادة حدة التازم، بما يتيح لقوات الأمن النزول إلى الشارع وفرض حالة الطوارئ، ويصبح الجيش وصياً لاستكمال المرحلة الانتقالية. يدخل هنا السودان في مربع الانقلاب العسكري بصورة غير تقليدية، ففي ظل السخونة التي يمكن أن تصل إليها الدولة وردات الفعل والمخاطر التي تهدد مستقبلها يصبح استدعاء الجيش فرض عين، وهي اللحظة التي تتشابك فيها الخيوط.

ومن هذه الزاوية يعاد تفكيك وتركيب المشهد بناء على مقتضيات الواقع الجديد ووفقاً لتوازنات القوى فيه، والتي لن تحرم فلول النظام السابق من الاستفادة منها، وإعادة عجلة الثورة إلى الوراء، وهو الخيار الذي يعتبره مؤيدو الثورة والجحيم سواء.

فصول سياسية مجهولة

لن يرضخ هؤلاء لما يترتب عن ذلك من تطورات سلبية، ما يفرض عليهم اللجوء إلى المزيد من التظاهرات التي تقود إلى

هدفها في استمرار العسكريين على رأس مجلس السيادة، وعدم تسليم رئاسته إلى المدنيين في نوفمبر المقبل. ويخشى المراقبون حدوث صدام بين المعتصمين الذين اطلقوا تظاهراتهم السبت الماضي مع آخرين ينوون الخروج إلى الشارع الخميس، وكل منهما يحمل أجنده سياسية بعيدة عن الثاني، خاصة أن تدخل أجهزة الأمن حتى الآن بدا لينا أكثر من اللازم، ما يشجع على الاحتكاك المباشر الذي يمثل فرصة ثمينة لفلول النظام السابق للاندساس وسط المعتصمين وتعيق الفجوة بين الجانبين.

وتؤدي حالة الغوران السياسي إلى المزيد من التجاذبات التي تجد فيها بعض الأطراف وسيلة لتعظيم مطالبها وعدم إفساح الوقت للتفاهم الذي استهلكت قوى في السلطة وخارجها وقتاً طويلاً دون التوصل إليه بما يفضي إلى تهينة الأجواء للدخول في مربع الجحيم. ويأتي سيناريو الجحيم من تضخم أعداد المعتصمين من الطرفين وحدث شغب وفوضى وعنف، وبالتالي وقوع ضحايا، وهي النقطة التي تمثل إعلاناً

ارتفعت وتيرة الخلافات السياسية بين المكونين العسكري والمدني في السودان، إذ يبدو أن المجلس العسكري يسعى من خلال التظاهرات والاعتصامات المتنامية لضمان بقائه على رأس مجلس السيادة الانتقالي، وهو ما ينذر بأن البلاد تسير نحو أزمة سياسية وأمنية هي الأخطر منذ سقوط نظام عمر البشير. ودفعت هذه التطورات الخطيرة المجتمع الدولي إلى التحرك لإيجاد حلول للخلافات بين الفرقاء السودانيين بما يضمن استقرار البلد واحتواء الأزمة التي تمت تداعياتها إقليمياً ودولياً.

بها البلاد منذ سقوط نظام الرئيس السابق عمر البشير، وحاول في خطابه واجتماعاته التعامل معها بطرق دبلوماسية مرنة، حيث يعرف أن الوصول إلى الصدام المفتوح بين القوى المتباينة يؤدي إلى ما هو أبعد من تخريب السلطة الانتقالية.

تخريب المرحلة الانتقالية

سط السحب التي تراكمت الأيام الماضية وما أضافه الاعتصام المفتوح من تعقيد في الأزمة، أصبح السودان أمام سيناريوهين، يدور أحدهما في فك الفشل التام وفتح الباب أمام ما يصفه البعض من السياسيين بـ"الجحيم"، والآخر لا يستبعد انكسار حدة الأزمة والعودة بها إلى مربع الهدوء. يستند كل سيناريو إلى محددات تجعل الوصول إليه سهلاً، وكوابح يمكن أن تمنع ذلك، وما يرجح كفة خيار على آخر ما يتوافر له من معطيات تعزز، فالتصعيد الذي ظهرت ملامحه في خطاب قوى عديدة يشي بعزمها الاستمرار فيه والذهاب به إلى حافة الهاوية، والليونة التي يحاول البعض التحلي بها لتفويت الفرصة على الخيار السابق قد تفتح نافذة لتصويب الأوضاع المتدهورة.

وأكدت حصيلة أكثر من عامين من توافق الضرورة في هرم السلطة الانتقالية المكون من مجلسي السيادة والوزراء، أن استمرار التفاهم السياسي عملية صعبة بينهما، واختبر كل طرف قدرات الآخر وعرف مكانم قوته ومواقع ضعفه، ما يعني أن هذه الأزمة مختلفة عن غيرها من الأزمات، فإذا لم يستثمرها الجيش لفرض إرادته القائمة قد لا تتاح أمامه فرصة أخرى.

جهزت المؤسسة العسكرية المسرح السياسي جيداً لاعتصام المتظاهرين أمام مقر رئاسة الجمهورية، وهي المنطقة التي كانت محرمة من قبل عليهم، ووصولهم إليها بسهولة واستقرارهم فيها يفيد بأن هناك خطة تم تجهيزها، فالكثير من الترتيبات التي اتخذت تشير إلى أن السودانيين أمام "اعتصام مصطنع" أو "ثورة مضادة" يتم تجهيزها تريد تحقيق

محمد أبو الفضل كاتب مصري

أشاع الاستقطاب الحاد بين قوى سودانية مختلفة أجواء من القلق بشأن المصير الذي يمكن أن تنتهي إليه الأزمة الحالية التي أخذت مفرداتها في البداية شكل صراع بين المكونين المدني والعسكري، ثم دخلت على خطوطه جهات متعددة يمكن أن تخرجه عن مساره السياسي وتدخله في مسار شديد القسوة على البلاد. وتراقب جهات إقليمية ودولية تفاعلات الصراع الذي لن يكون نطاقه محصوراً داخل السودان، فجغرافية هذه الدولة المترامية تؤدي إلى تأثيرات كبيرة على دول الجوار في حالتها الحرب والسلام، وهو ما جعل الإدارة الأميركية تنوي إرسال مبعوثها للقرن الأفريقي جيفري فيلتمان إلى الخرطوم بعد نحو أسبوعين من زيارة سابقة التقى فيها الكثير من المسؤولين ولم يفلح في تنويع الهوة بين المكونات المتصارعة.

المدنيون يعولون على المجتمع الدولي ويتجاهلون أن قواه غير قادرة على هندسة أوضاع أي بلد ينجرّف بقوة نحو الاقتتال

وتؤكد زيارة فيلتمان المنتظرة أن الأزمة وصلت إلى مستوى حاد من التصعيد عقب الاعتصام الراهن أمام القصر الجمهوري، والذي يشير إلى عدم انقضاها قبل تحقيق شعاراته المعلنة وفي مقدمتها إقالة الحكومة وتشكيل أخرى تراعى ما يوصف بالتوازنات بين مكوناتها السياسية وتستكمل الاستحقاقات الدستورية، وشعاراته المبطنة وأبرزها تفويض المكون العسكري في قيادة المرحلة الحالية حتى نهايتها. واعترف رئيس الحكومة السودانية عبدالله حمدوك أن هذه أخطر أزمة تمر

أطفال اليمن أكبر ضحايا الحرب والمجاعة

دون سن الخامسة في اليمن سيعانون الجوع هذا العام، إذا لم تعمل الحكومات على زيادة التمويل. وتقيد تقارير حقوقية متواترة بأن مليشيا الحوثي تسببت في اضطراب وصول المساعدات الإنسانية إلى اليمنيين، حيث تقوم بحجزها وبيعها وتوزيعها على مقاتليها.

2.3 مليون طفل دون سن الخامسة في اليمن سيعانون الجوع إذا لم تعمل الحكومات على زيادة التمويل

وكشفت دراسة حديثة للبنك الدولي عن وجود مؤشرات بظهور يور تشبه المجاعة في عدد من المحافظات الواقعة شمالي اليمن، والتي تخضع لسيطرة جماعة أنصار الله الحوثية والمذعومة من إيران، وهي محافظات حجة وعمران والجوف. والاثني أكّد ديفيد غريسلي منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في اليمن أن 20 مليون شخص، أي ما يعادل ثلثي سكان البلاد، يحتاجون إلى المساعدة عقب سنوات من الحرب. وقال غريسلي إن اليمن يشهد أسوأ أزمة إنسانية في العالم قد تتأجج إن لم يكن هناك حل سريع، لاسيما بعد أن أصبحت البلاد على بعد خطوات من حافة المجاعة في ظل حالة دمار هائلة تعني منها المنشآت الصحية.

ويؤدي إلى الإصابة بالكثير من الأمراض أبرزها فقر الدم والكساح والاكنتاب. ويشهد اليمن حرباً منذ أكثر من 7 سنوات أودت بحياة 233 ألف شخص، وبيات 80 في المئة من السكان، البالغ عددهم نحو 30 مليون نسمة، يعتمدون على الدعم والمساعدات، في أسوأ أزمة إنسانية بالعالم. وللنزاع امتدادات إقليمية، فمنذ 2015 ينفذ تحالف عربي بقيادة الجارة السعودية عمليات عسكرية في اليمن دعماً للقوات الحكومية، في مواجهة الحوثيين المدعومين من إيران، والمسيطرين على محافظات بينها العاصمة صنعاء منذ 2014.

وفي العامين 2018 و2019 استطاعت الأمم المتحدة منع حدوث مجاعة، بفضل نداء لتقديم المساعدات أسفر عن تعهدات كبيرة، من بينها تبرعات ضخمة قدمتها السعودية والإمارات والكويت، لكنها لم تتلق في العام الماضي سوى ما يزيد قليلاً على نصف التبرعات المطلوبة وقدرها 3.4 مليار دولار، مما جعلها غير قادرة على مجارة الوضع الذي يزداد سوءاً يوماً تلو آخر. ووفق تقرير مشترك لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة "الفاو" وصندوق الأمم المتحدة للطفولة "يونيسف" وبرنامح الأغذية العالمي، شهد اليمن ارتفاعاً في معدلات سوء التغذية الحاد والحاد الوخيم بنسبة 22 في المئة بين الأطفال في 2020. وسبق أن حذرت 12 منظمة إغاثة من بينها أوكسفام وهيئة إنقاذ الطفولة وكير إنترناشونال من أن 2.3 مليون طفل

قررت اقتراض المال ونقلها إلى مركز طبي متخصص في علاج سوء التغذية بصنعاء.

ويشير إلى أن "تأخر نقل هديل إلى صنعاء أكثر من 70 يوماً بسبب صعوبة توفير تكاليف السفر والإقامة في المركز الطبي حتى سمع فاعل خير بقصة مرض ابنتي ومنحني مبلغاً كمساعدة في العلاج".

ويقول دحان "وضعتنا تحت الصفر وظروفنا أجبرتنا على تركها تتالم وتقاوم وحدها في مواجهة مرض سوء التغذية.. لم أستطع توفير الغذاء المناسب لها لأنني عامل بالاجر اليومي وهذه الأيام فرص العمل تكاد تكون معدومة".

ويتابع "قمت باستئجار محل مكون من غرفة وحمام بمبلغ 30 ألف ريال (حوالي 50 دولاراً) في صنعاء لآكون بجانب ابنتي هديل، ولعند قدرتي على سداد قيمة إيجار الشهر الماضي قام صاحب المحل بطردي وأبنائي ما دفعنا للإقامة في حديقة المستشفى".

ويعد دحان واحداً من مئات اليمنيين الذين يعانون ابتائهم من سوء التغذية ويواجهون خطر الموت جوعاً في البلد العربي الذي يشهد حرباً ضروساً منذ سنوات. ودخل جناح علاج سوء التغذية في مستشفى السبعين، ترتفع الصرخات والآنين دون انقطاع للعشرات من الأطفال الذين يظهر عليهم الإعياء والمرض. ويتسبب مرض سوء التغذية في أضرار بالنمو البدني والعقلي للأطفال،

أهات الإعياء فتتهمر بدوعه ويداعب شعرها برفق متسائلاً بصوت خفيض متى ستنجو وتتعافى وتعود ضحكتها إلى سابق عهدها؟

ويقول دحان "كنت أعود إلى المنزل بعد يوم عمل شاق لتستقبلني بابئسامة لا مثيل لها تنسيني مشقة العمل وتجعلني أشعر وكأنني عدت للو من نزهة ترفيحية".

ويضيف "أصببت هديل بسوء التغذية منذ نحو 4 أشهر، حاولت جاهداً أن أجد لها علاجاً ولكن دون جدوى، حتى



هديل واحدة من أطفال اليمن المهددين بالموت جوعاً